الفصل الأول

مختارات تعبدية

مفهوم العبادة في الإسلام

إن الهدف من خلق البشر هو عبادة الله عز وجل وعلا - بل إن الهدف من خلق جميع المخلوقات هو عبادته جل وعلا، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾} [الذاريات: ٥٦ - ٥٧]، وقال تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾} [مريم: ٩٣ - ٩٥].

العبادة تعنى: كل عمل أو قول أو نية يؤديه المسلم بقصد التقرب إلى الله تعالى على جهة التذلل والخضوع إليه سبحانه.

يقول تعالى: {وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ} [طه: ١٣٠].

وقال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾} [الفاتحة: ٥].

ومن أمثلة العبادة في الإسلام:

توحيد الله في الآذان: وذلك لبيان قصد العبادة لله وأن قدوتهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيقتدوا به كذلك الأمر في إقامة الصلاة، ومما لا يخفى على أحد إعلان الشهادة في التشهد الأوسط والأخير من الصلاة. ولعظيم مقام العبودية كان النبي صلى الله عليه وسلم هو العبد الكامل لله جل وعلا فجاء البيان بالوصف دون أن يتبعه الاسم الموصوف دلالة على شهرة النبي صلى الله عليه وسلم بخاتم النبيين والمرسلين وقد ذكر ربنا في كتابه عبودية المسيح عليه السلام تبرأةً له مما نسب إليه فقال جل شأنه: {لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ

وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾} [النساء: ١٧٢].

ومن تمام العبودية أن يرضى العبد بتحكيم شرع الله جل وعلا قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾} [النساء: ٦٥].

وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله:"**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**- ولكى يكون العمل مقبولاً يشترط فيه:

- أن يكون خالصاً لوجه الله الكريم فلا يشرك فيه مع الله شئ آخر من السمعة والرياء.

- أن يكون الإنسان في عمله متابعاً لهدى النبي صلى الله عليه وسلم مقتفياً أثره ومحافظاً على ما ترك لنا من بعده من دين قويم، وشرع مستقيم سليم غير مبدل له ولا مغير ولا مبتدع ولا مخترع إذ لا يكفى صدق النية وحده بقبول العمل ولكن لابد معه من صدق الاتباع وصدق العلم لكى لا تتبدل معالم الدين ولا تضيع أسسه (ومثال ذلك): تغيير يوم منى في الحج ويوم عرفة مثلاً بحجة الازدحام يقصد بذلك حسن النية إلا أن هذا الأمر يرد، لأنه مخالف لشرع الله جل وعلا ومخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:"**خذوا عنى مناسككم**- فلا مجال هنا للاختراع والابتكار والموقف موقف اتباع وليس ابتداع.

ولو فتحنا هذا الباب لتغيرت وتبدلت الشرائع من صلوات وغيرها وأُحْدِثَ في دين الله ما ليس منه ولكن لا مانع من الابتكار في تيسير الطرق وبناء المبانى واستخدام التكنولوجيا الحديثة وأن نضع في عين الاعتبار أنه لا مانع من الاجتهاد إذا دعت الضرورة لذلك ولم يكن هناك نصٌ في المسألة.

والعكس: لو كان العمل صحيحاً موافقاً للشرع ولكنه لغير وجه الله تعالى فإنه لا يقبل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى-** [1].

نستخلص من ذلك أن كل عمل يعمله الإنسان بدون نية وبدون اتباع فإنه يرد عليه فالعبادة في الإسلام ليست مرتبطة بطقوس أو عادات كما يفعل في عاشوراء أو المولد النبوى إلى غير ذلك من أمثلة هذه الأمور وهناك كلمة تكثر على ألسنة كثير من الناس أن (العمل عبادة).

نقول: متى يعد العمل الدنيوى عبادة ويؤجر صاحبه عليه فإن لهذا العمل شروط وإلا أصبح وبالاً وخسراناً على صاحبه حيث يقول ربنا:{ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾} [الفرقان: ٢٣]، وكما قال أيضاً:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾} [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]، وذلك لأنه قد اختلت شروطه ومن أهم شروط قبول العمل:

- أن يكون العمل مشروعاً غير مخالف لأحد أركان أحكام الدين ومقتضيات الشرع الحنيف.

- أن يقصد بعمله وجه الله تعالى وذلك ضرورة في أمور الدنيا، من أكل وشرب فالمباحات تصير طاعات فضلاً عن أعمال الآخرة.

- الاعتقاد الصحيح والتوكل الصادق على الله وحده في أنه هو هو الرزاق على جهة الحقيقة أما العمل فهو سبب للرزق مطية له.

- ألا ينشغل عن أمور دينه بأمور دنياه والعكس أيضاً فلكل

(1) البخاري من حديث عمر بن الخطاب.

وقته.

- أن يعلن فقره الدائم إلى الله وأنه في حاجة دائمة إليه ومعونة منه.

قال تعالى:{وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [آل عمران: ١٠١].

* * *